

التبيان في تفسير القرآن

(85) لما أخبر الله تعالى أنه لو أنزل الآيات التي أقترحوها وامتنعوا عند ذلك من الإقرار بالله وتصديق نبيه اقتضت المصلحة استئصالهم كما اقتضت المصلحة استئصال من تقدم من الأمم الماضية عند نزول الآيات المقترحة، كما فعل بقوم صالح وغيرهم من أمم الأنبياء، قال ذلك تسلياً لنبيه (ع) من استمرارهم على الكفر. ومعنى (الحق) ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله كما قال: " ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله " (1) أي لا ترجع عاقبة مكروهه إلا عليهم. والمعنى فحاق بالساخرين منهم: " ما كانوا به يستهزئون " من وعيد أنبيائهم بعاجل العقاب في الدنيا نحو ما نزل بقوم عاد وثمود وغيرهم من الأمم. وقال أبو علي: حاق وحق بمعنى واحد. والمعنى أنه لما نزل بهم العذاب حق بذلك الخبر عندهم: الخبر الذي كان أخبرهم به النبي (صلى الله عليه وآله). قوله تعالى: قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (11) آية بلا خلاف. أمر الله تعالى في هذه الآية نبيه (ع) أن يأمر هؤلاء الكفار أن يسيروا في الأرض لينظروا إلى آثار تلك الأمم فإنها مشهورة ومتواتر خبرها معلوم مساكنها وأراد بذلك زجر هؤلاء الكفار عن تكذيب محمد (ع) والتحذير لهم من أن ينزل بهم من العذاب ما نزل بالمكذبين للرسول من قبلهم. قوله تعالى: قل لمن ما في السموات والأرض قل لا كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيمة لاريب ————— (1) سورة 35 فاطر آية 43.